الْمَجْلِسُ الْأَوَّلُ مِنَ اللِّقَاءَاتْ الرَّمَضَانِيَّةِ لِعَامِ ١٤٣٩ هـ

لِصَاحِبِ الْفَضِيْلَةِ الْمُدَرِّسِ فِيْ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِيْ الْمَدْخَلِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىْ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنَا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فَيَاْ معشرَ الإخوان، إنا نَحْمَدُ اللهَ _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_ على ما مَنَّ بهِ علينا وعليكم جميعا مِنْ نعمةِ إدراكِ هذا الشَّهْرِ الكريمِ، شهرِ رمضانِ الْمُعَظَّمِ، الذي عَظَّمَهُ اللهُ _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_ وكَرَّمَهُ وشَرّفَهُ _سُبْحَانَهُ_ بإنزال هذا القرآن فيه، حيث قال: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}[1].

فَنَوَّهَ اللهُ بفضله وأَبَانَ مَكَانَتَهُ وقَدْرَهُ، حيث اخْتَصَّهُ بإنزال القرآن العظيم فيه {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}[2].

هذا الشهر العظيم شَهْرٌ يَتَكَرَّمُ اللهُ فِيْهِ على عباده، وهو الكريمُ _سُبْحَانَهُ_ في جميع أحواله، لكنه في هذا الشهر يَتَكَرَّمُ على عباده بأمورٍ اخْتَصَّ بها هذا الشهر، وذلك تَنْوِيْهًا بِفَضْلِهِ، وإظهارًا لِقَدْرِهِ، قال _عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ_: "إذا جاء رمضان فُتِّحَتْ أبوابُ الجنةِ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النَّارِ، وصُفِّدَتِ الشياطينُ".

---

[1] _ البقرة (١٨٥).

[2] _ البقرة (١٨٥).

وإنما تُفَتَّحُ أبوابُ الجنةِ في هذا الشهر لِكَثْرَةِ الْخَيْرِ فيه، ولِتَنَافُسِ الْعِبَادِ في الخيراتِ فيه، فَتَجِدُهُمْ يتسابقون إلى الطاعات بأنواعها، فَتَجِدُ صاحِبَ الخيرِ يزداد خيرًا، والْمُفَرِّطَ يزداد حِرْصًا، ويُقْبِلُ على الطاعات، وحتى الْعُصَاةَ تَجِدُهُمْ في هذا الشهر يُقْبِلُوْنَ على الخير.

فَكَثْرَةُ الإقبالِ على الخير ليست هي في شَهْرٍ كما هي في هذا الشهر، ولذلك فُتِّحَتْ أبوابُ الجنةِ، فَتَجِدُ المساجِدَ تَغُصُّ بالْمُصَلِّيْنَ، والقرآنَ بين أيدي التَّالِّيْنَ، وتَجِدُ المتسابقين إلى الإطعام للمحتاجين، والْمُتَفَقِّدِيْنَ للفقراء والْمَعَاوِيْزِ والْمَحَاوِيْجِ، تَجِدُ الناسَ يتسابقون في جميع أبواب الْبِرِّ؛ لأن هذا الشهر له مَزِيَّتُهُ على بقية الشهور، والحسنة بعشر أمثالها، إلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إلى أضعاف كثيرة، قال الله _جَلَّ وَعَلَا_: "إلا الصيام فإنه لي، وأنا أَجْزِيْ به".

فاخْتَصَّ الله _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ_ الصِّيَامَ لنفسه مِنْ بين سائر الأعمال، ولذلك قال بعضُ أهل العلم مِنْ سلفنا الصالح: "إِنَّ الصيام لا يدخل في باب القصاص يَوْمَ القيامةِ".

يعني: أَنَّ الْمَرْءَ الْمُفْلِسَ إذا جاء يوم القيامة، جاء بصلاةٍ وصدقةٍ وأنواعِ الْبِرِّ، فإن الله _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ_ يؤدي عنه غرماءَه مِنْ أعماله، يأتي بصلاةٍ وحَجٍّ وغيرِ ذلك.

قال بعضهم: "إلا الصوم فإن الله لا يُجْرِيْ فيه القصاص" لأن الله اخْتَصَّ به نفسه فَيَتَحَمَّلُ مَاْ بَقِيَ _إِنْ بَقِيَ عن عبدِه_ لِغُرَمَائِهِ.

والحاصِلُ أَنَّ الناس يُقْبِلُوْنَ في هذا الشهر على الخير، فَتُفْتَحُ أبوابُ الجنة جميعها، و[تُصَفَّدُ][٣] أبوابُ النار لقلة المعاصي، وضَعْفِ دواعيها وأسبابها، وضَعْفِ الشهوة الداعية إليها، هذا مِنْ ناحية.

[٣] _ هكذا في الأصل.

ومِنْ ناحية ثانية؛ لأن الجِنَّ الشَّيَاطِيْنَ قد صُفِّدُوْا، فلا يَخْلُصُوْنَ إلى ما كانوا يَخْلُصُوْنَ إليه مِنَ العباد في غير رمضان، ولهذا يَقِلُّ في هذا الشهر العظيم الشَّرُّ، ويَكْثُرُ الخير، فإنه ينادي منادٍ: يا باغي الخير أَقْبِلْ، ويا بَاْغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ.

فالواجب علينا _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ أن نَحْمَدَ اللهَ _جَلَّ وَعَلَاْ_ على أَنْ بَلَّغَنَا هذا الشَّهْرَ، ومَتَّعَنَا فيه وإياكم بالصحة والعافية حتى أدركناه.

والواجب على مَنْ أدركه أَنْ يَعْرِفَ لَهُ مَقَاْمَهُ وحُرْمَتَهُ، وأَنْ يحرص على الاستفادة مِنْ أوقاتِهِ، نَهَاْرِهِ ولَيْلِهِ، فَلَيْلُهُ بالقيام وبقراءة القرآن، ونهارُهُ بالصيام وبالذِّكْرِ لله _تَبَاْرَكَ وَتَعَاْلَىْ_؛ لأن هذا هو موسم المسابقة، وهو موسم المسارعة.

والواجب على العبد إذا مَنَّ اللهُ عليه وبَلَّغَهُ هذا الموسم وأمثالَهُ أن يَحْمَدَ اللهَ _جَلَّ وَعَلَاْ_، وألا يتساهل.

يَاْ ذَاْ الَّذِيْ مَاْ كَفَاْهُ الذَّنْبُ فِيْ رَجَبٍ ... حَتَّىْ عَصَىْ رَبَّهُ فِيْ شَهْرِ شَعْبَاْنِ

لَقَدْ أَظَلَّكَ شَهْرُ الصَّوْمِ بَعْدَهُمَاْ ... فَلَاْ تُصَيِّرْهُ أَيْضًا شَهْرَ عِصْيَاْنِ

وَاتْلُ الْقُرَاْنَ وَسَبِّحْ فِيْهِ مُجْتَهِدًا ... فَإِنَّهُ شَهْرُ تَسْبِيْحٍ وَقُرْآنِ

هذا هو الشهر الذي أُنْزِلَ فِيْهِ هذا الكتاب؛ ينبغي لنا أن نحرص على خَتْمِ القرآن فيه، ونحرص على قراءة القرآن فيه، ونحرص على الإكثار مِنَ الذِّكْرِ فيه، ونحرص على الطاعات _جميعًا_ بأنواعها فيه، فإنَّ الله _سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ_ قد مَنَّ به علينا، ولِعِظَمِهِ قد شَرَعَهُ للأمم قبلنا، قال سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[٤]، فالصيام لو لم يكن

[٤] _ البقرة (١٨٣).

له مَزِيَّةٌ، وله شأنٌ عند الله _جَلَّ وَعَلَاْ_ لما افترضه على جميع الأمم، وما نحن إلا آخِرُ الأمم، ولَكِنَّا _ولله الحمد_ نحن آخر الأمم مَجِيْئًا، ونحن أَسْبَقُ الْأُمَمِ دُخُولًا الجنَّةَ يَوْمَ القيامةِ.

وذلك لأن هذه الأمة هي خير الأمم: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[٥]، ونَبِيُّهَاْ أَفْضَلُ الأنبياءِ _عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ_، فهو سيِّدُ ولدِ آدم، يقول _عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ_: "أنا سيد ولد آدم، آدم فمَنْ دُوْنَهُ تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر"

فهذه الأمة اخْتَصَّهَا الله _سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ_ بمزيدٍ مِنَ الْخَيْرِ، واخْتَصَّهَا الله _سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ_ بمزيدٍ مِنَ الفضل، واخْتَصَّهَا الله _سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ_ بمزيدٍ مِنَ الأجور.

فالواجِبُ علينا أن نعرف نِعْمَةَ الله _تَبَاْرَكَ وَتَعَاْلَىْ_، وأن نَحْمَدَهَاْ، وأن نقوم بشكرها، وذلك بشكر مَنْ أَنْعَمَ بها علينا _سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ_؛ بطاعته واستخدام نِعَمِهِ فِي مَرَاْضِيْهِ، نسأل الله _سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ_ أن يجعلنا وإياكم مِنْ هؤلاء.

وإلا فَكَمْ مِنْ إنسانٍ كان إلى وَقْتٍ قَرِيْبٍ وهو يُؤَمِّلُ بُلُوْغَ رَمَضَاْنَ فَلَمْ يَبْلُغْهُ؟!

فَلْنَحْمَدُ اللهَ على هذه النعمة، ونسأل الله _جَلَّ وَعَلَاْ_ أن يغفر لنا ولهم، وأن يُوَفِّقَنَا وإياكم جميعا لما يُحِبُّ ويرضى، وأن يُثَبِّتَنَا على الحق والهدى حتى نلقاه، إنه جواد كريم. وصَلَّىْ اللهُ وسَلَّمَ وبارك على عبده ورسولِه نبيِّنَا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان[٦].

---

٥ _ آل عمران (١١٠).

٦ _ مَا كَاْنَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَاْنِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَاْنُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَاْبَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَاْنِ حَسَنَاْتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَاْبَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَاْمِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاْهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.